مقدمة

لا توجد مدينة في العالم تحتفظ بثلاث بوابات من بواباتها يزيد عمرها عن تسعمائة وستة وعشرون عاماً غير مدينة القاهرة، وهي باب النصر وباب الفتوح وباب زويلة.

وهذه الأبواب ظلت مفتوحة ولا يخشى من عدو يقتحم المدينة من خلالها طوال هذه المدة ماعدا فترة قصيرة سنة 562هـ/ 1167م كانت بحوزة فرسان عموري الأول الصليبي لتحصيل قيمة جزية قدرها مائة ألف دينار فرضت على الدولة الفاطمية في تلك السنة، وأغلق باب زويلة لمدة شهر أثناء سلطنة المؤيد شيخ المحمودي بدأ يوم 28 ربيع الآخر 821هـ/ 4 يونيه 1418م وانتهى يوم 26 جمادى الأولى 821هـ/ أول يوليو 1418م بسبب قهري هو إعادة بناء المئذنة الغربية لجامع المؤيد شيخ المبنية فوق البرج الغربي لباب زويلة لميلها والخوف من سقوطها.

وهذه البوابات من إنشاء أمير الجيوش بدر الجمالي وزير الخليفة المستنصر بالله، وتاريخ إنشاء بابي النصر والفتوح كان سنة 480هـ/ 1087م، وباب زويلة سنة 482هـ/ 1089م أثناء إعادة بناء سور ثاني للقاهرة زاد في مساحتها عن سورها الأول الذي بناه جوهر الصقلي ابتداءً من سنة 358هـ/ 969م وما بعدها، الذي كان قد تهدم هو وأبوابه.

وقد بنيت هذه البوابات بالأحجار الضخمة التي جلب بعضها وكثير من الأعتاب من الأهرام الصغيرة والمعابد بالجيزة وبعض الأعتاب عليه نقوش هيروغليفية، وهذه البوابات ضخمة إذ تقرب كل من طولها وعرضها لخمسة وعشرين متراً وارتفاعها عشرين متراً، وقد حفلت بالزخارف والمفردات المعمارية المتميزة وعلى رأسها الأعتاب ذات الصنج المعشقة والقباب والأقبية والزخارف ذات الطابع العسكري، وقد اختلف في اسم مهندس هذه البوابات وإن كان يغلب على تصميمها التأثر بالعمارة الأرمنية والشامية وبعض التأثر بالعمارة المغربية.

وكانت الأبواب بمثابة وسيلة إعلام هامة في العصور الوسطى لتعريف الناس بالقضاء على أعداء الخلافة أو السلطنة بتعليقهم مشنوقين أياماً بحبال تتدلى من أعلى البوابات، وهو في نفس الوقت بث الرعب في نفس من تسول له نفسه معاداة الدولة، وقد ارتبط باب زويلة

بشنق السلطان الأشرف طومان باي آخر سلاطين المماليك فيه يوم الاثنين 22 ربيع الأول 923هـ/ 13 أبريل 1517م.

ومن الطريف أن نذكر أن بدر الجمالي سمى هذه البوابات بأسماء جديدة نقشها على واجهاتها فسمى باب النصر باسم باب العز، وسمى باب الفتوح باسم باب الاقبال، وسمى باب زويلة باسم باب السعد، وبالرغم من هذا ظلت الأسامي القديمة عالقة في وجدان الناس حتى اليوم.

ويسعدني أن أهدي هذا الكتاب للصديق الزميل هشام العرابي، وأرجو من الله التوفيق.

محمد الششتاوي

obeikandl.com